# النتاج الجديد

## «العشاق الخمسة»

### مجموعة قصص بقلم يوسف الشاروني

نادي القصة بمصر – الكتاب الذهبي – ١٧٤ ص

•

الحديث عن هذه المجموعة شاق عسير ، ذلك ان الذي يريد ان يتناولها سيجد نفسه امام كل ما عرف من المذاهب التي تكتب في ضوئها القصة .. وعلى ذلك فلا بد من تفسير كل قصة على حدة ، حتى يمكنه في النهاية ان يؤلف من هذه الخطوط المتنوعة في المجموعة مفهوماً عاماً لمنهج « يوسف الشاروني » وطريقته في تناولها وتشكيلها ، وإبراز نمو القصة وحركتها في المجال الفني ، ومدى قدرة الكاتب على امتصاص زمن القارىء النفسي ، وارتباطه بها .. وذلك ما لا سبيل اليه !.

فلا مفر اذاً من الانطلاق الراكض خلال هذه المجموعة ، لإنارة جوانبها بصورة خاطفة .

والقصة الاولى هي « العشاق الخمسة »: قصة خمسة من العشاق ، وفتاة واحدة ، تنتهي بان تتزوج الفتاة واحداً غيرهم .. وليس في القصة احداث مرتبة ، ترتفع الى ذروة تنتهي عندها ، وليس فيها موقف معين ، او لحظة باهرة تنمو الشخصيات في إطارها الزمني .. وكثير من القراء معذورون اذاما هزوا رؤوسهم أسفاً بعد فراغهم من مطالعتها، ذلك لانهم لن يخرجوا بحادثة محددة المعالم يستطيعون حكايتها ، ولن يتعرفوا إلى شخصية واحدة فيها تعيش معهم ، أو يعيشون معها .. لكنهم سيخرجون من جو القصة إلى العالم بأشياء مثيرة لأفكارهم وعواطفهم ، غامضة الى حدّ ما ، وهم معذورون في خطئهم ان ظنوا أن هذا عبث لا يطيقونه ، فقصة « العشاق الخمسة » ليست عبثاً ، ولكنها جادة أكثر مما ينبغي ، ولعل هذا أحد عيوب « يوسف الشاروني » .. هذه القصة تفسر منهجه بصفة عامة ، وتبين فهمه للقصة بصورة شاملة .. فهو في كثير من الاحيان ، لا يرسم للقصة جواً ، ولا يبرز حياة الشخصية فيها بوضوح ، ولا يتتبع احداثاً تتجمع لتنتهي في عمل ما ، أو زمن متوقع .. لكنه يضغط العالم في كلمات تفلسف القيم العارية للمجتمع ، وتفسر متناقضاتها الشاملة في ضوء القصة ، فاذا تتبعت حياة شخصياته فلن تجد انها تستمد أهميتها من فرديتها كنماذج حية ، فاعلة ، أو منهزمة ، إلا بمقدار ما تحقق التعبير عن هذا الاشتباك الحضاري ، وإلا بمقدار ما تتحمل من افكاره ، وهي تمر فوق جسر عواطفها وملامحها وحديثها الذي يكون مملاً في أحيان كثيرة ..

وتترك « العشاق الخمسة » الى « العيد » التي تهز وجداننا بصدقها وبساطتها ، وهي قصة تعكس حياة الفقراء النفسية والواقعية ، وتتبلور فيها عاداتهم وتقاليدهم الساذجة ، التي تستمد الوانها مما يعانون من شظف وحرمان ، وهي حافلة باللحظات والمواقف الانسانية لأشخاصها الذين لا تملك الا ان تحبهم، وتتنفس خلال مشاعرهم، وعواطفهم الطيبة ، وارتباطهم بشعبيتهم وبالارض التي امتزجت بعرقهم ، ودموعهم ، وكفاحهم .. وهي أحدث قصص المجموعة ، كما انها متميزة ببساطتها،وعفوية التناول والوضوح، والاخلاص في الانفعال بالتجربة وتنميتها ، مما وهبها حياتها المستمرة في نفس القارىء .. ونجد بعدها « قديس في حارتنا » قصة متطورة ذات هدف واضح .. تصور لوناً من الوان الصراع بين السلبية الراكدة، وبين ايجابية الحضارة المتجددة الطالعة .. فمشروع الضريح الذي قرر سكان الحارة إقامته للشيخ اسماعيل « حطمه شخص » كان يبدو عليه أنه من رجال الاعمال الذين لا يملكون وقتاً للضياع ... « ومضى يقيم عمارة ضخمة في حارتنا الصغيرة المتواضعة .. »

وقد تدخل المؤلف بعد ان انتهت القصة نهاية طبيعية ، فابى الا ان يسوق تفسيراً متيقظاً أفسد القصة ، فلم يكن ثمت ضرورة لأن يقول «وليس هناك سبيل للمقاومة .. فلقد تقدمت بي الأيام .. وكونت بعض الثروة ، وهأنذا أنوي أن ازوج ابني .. الخ »

وأما « الطريق » و « القيظ » و « الوباء » التي جمعها المؤلف مرتبة، لتعطي لوناً واحداً ، فهي قصص رائعة .. وقد تم تشكيلها في مجال التداعي الذي نما وامتد في نفسه ، ثم انعكس عملاً مترابطاً بالنسبة للقارىء ... وهذه الطريقة متسقة مع منهج المؤلف الأصلي . وهو ربط الشخصية بالحياة بطريقة اشمل تتعدى حدود العواطف الانسانية،النابعة من المشاركة الوجدانية التي تعتمد على الاحساس الفطري .. بل تنتقل إلى الترابط في حدود الاشتباك البشري في العالم في إطار هذا الاشتباك الذي يحكم واقع الحياة المادية في هذا العصر الذي نعيشه أكثر مما نعيش فيه .

ومن قصص المجموعة المتكاملة « المعدم الثامن » و «دفاع منتصف الليل» وهما قصتان واعيتان ، تحملنا بكل طاقات الاندفاع الايجابي .. وهناك قصة ثالثة مكتملة أيضاً وناضجة ، ومع أنها مختلفة تماماً عن سابقتيها ، لكنها تصف واقعاً حقيقياً بطريقة رائعة متعددة ، هي « المذبوحون في الأرض » التي قتلها « العنوان » فمثل هذا العنوان يصلح لمقالة او كتاب ، ومن ناحية اخرى فهو مرتبط بكتاب معروف « للدكتور طه حسين » ومن عيوب الأعمال الفنية أن ينتقل تفكير القارىء الى المقارنة بين عمل « آني» وبين ما يشبهه على أية صورة مما مر به في الماضي .

ونرى في بعض قصص هذه المجموعة ، أن المؤلف كثيراً ما يترك القصة تتحرك وتتغذى في جو « الحلم»فتحس وأنت في مجال القصة بعكسية الحياة ، تماماً كما تنظر إلى « مرآة » فترى الناس يسيرون على رؤوسهم ، فتستغرق في هذه الانعكاسات الذاهلة . ترى ذلك في « سرقة في الطابق السادس » و«جسد من طين » والأخيرة غامضة ، لا تتضح أحداثها بسبب تشابك الحلم بالحقيقة .. ولكن جو « الحلم » يظهر بصورة طبيعية في « هذيان » التي احتشدت فيها كل الأساطير القديمة وايحاءاتها، لكن القارىء لا يفقد مفتاح القصة التخيلي ..

والأساطير والرموز الدينية ظاهرة تزدحم عند« يوسف الشاروني»لأنها متلبسة بنفسه .. وقد يبدو أن هناك تناقضاً بين الواقعية التي يهدف اليها كغاية ويصورها كموضوع يحاول ان يبرز فيه مضموناً حقيقاً متفاعلا ، وبين هذه الرموز العقيدية .. فالواقعية تقتضي تنقية مجال العمل الفني في ذبذبة الغيبيات لتكون اكثر جرأة على الدفع.لكن هذه الرموز جزء من تكوين المؤلف وطبيعته النفسية ، جزء يتفاعل بطريقة غير شعورية مع أفكاره وعواطفه ، وربما أفاد من ذلك حصوله على اطمئنان القارىء ، وامداده بالقدرة على التأثير فيه .. لو أن هذه الرموز ليست ذاتية ، خاصة بمدلولاتها .

تشع هذه الرموز في أكثر قصصه ، وتستعلن بصورة مركزة ، في « سياحة البطل » وفي « أنيسة » .. التي تحس بعد قراءتها انك امام قصة

اخلاقية ، تربوية بمعنى ادق .. ولقد اراد المؤلف ان يصور واقعاً لكنه انتهى بهذه القيم التعليمية..أما « سياحة البطل » فتبدأ بالعبارة الآتية«مؤمن عبد السلام عيد ، استطاع أن يحصل على وظيفة كاتب ..» و«مؤمن » هذا خطب فتاة اسمها « عنايات » وفي صباح كل يوم من أيام «الجمعة » يقوم كأنه ذاهب الى عمله اليومي .. يقوم كأنه يؤدي واجبه الديني..يقوم كأن امامه رحلة طويلة شاقة » وبعد ذلك تجمعه الغربة برجل « فضى يدلي باعتراف كامل عن تاريخ حياته » .. ويتحدث المؤلف عن رحلة الرجل .. خلال أزقة المدينة وشوارعها .. ويقدم لنا صديقه «صلاح»الذي يعرف الطريق الذي نوى ان يسلكه بعد قليل من الزمن .. وهو وحده يمكن ان يكون واسطة بيني وبين صاحب البيت الذي نقصده .. ويخرجان ، فيذرعان طرق المدينة دون تحديد .. ويلاقيان مشاق ومتاعب لا تنتهي .. وبعد طواف لا نهاية له في عالم لا نعرف حدوده ، يوقفنا المؤلف إزاء رجل اسمه « يونس » والمؤلف يختار اسماءه عامداً .. ونحن نعلم ان « يونس » نبي من الانبياء .. ثم يقدم لنا المؤلف « يونس بك » الذي يصبح بدوره وسيطاً بين الرجلين وبين صاحب المسكن .. ويمضي صلاح يلعب الشطرنج مع « يونس » ويدور بينهما صراع رهيب ينتهي بأن يبحث « يونس بك » عن طريق للخلاص .. ونحن نعلم ان هذا شبيه باللون الذي كان سائداً في العصور الوسطى . و« سياحة البطل » هي سياحة المسيح في مملكة السماء ومحاربته الخطايا التي كانت تتجسد له .. لكن «يوسف الشاروني» نقل المعركة من السماء الى الارض ، ومن البحث عن القيم الدينية ، إلى البحث عن القيم المادية .. عن الطعام ، والحب .. وبطريقة رائعة ، يستيقظ في نهاية القصة، وفي خطوط سريعة متسقة وموجهة ، يجذب كل الخيوط التي تجمعت في يديه ، ويعود من تطوافه في لحظة حاسمة ، إنسانية ايضاً . ليضع القارىء في بوتقة المشكلة ، ملهباً ظهره بكلماته فيندفع إلى الامام ، مع «مؤمن عبد السلام» الذي يخاطبه المؤلف في محبة عظيمة « اجمع حولك كل من لا بيت له ،فأنت بطل من ابطال هذا القرن،لانك استطعت الحصول على وظيفة، والحصول على حب ، ولا بد لك وللآخرين من الحصول على بيت .»

ويبقى معنا بعد ذلك .. مشكلة قصتين : « زيطة صانع العاهات » ، و « مصرع عباس الحلو » ، فليس لهما مكان في المجموعة .. فكلتا الشخصيتين من خلق « نجيب محفوظ » وقد عاشا في « زقاق المدق » حياة كاملة ، كما يعيش كل الناس ويموتون .. ولكن الاستاذ الشاروني، اعادهما مرة أخرى ، ليفسر لنا حياتيهما تفسيراً نقدياً..لكنه لم يستطع ان يهب واحداً منهما شيئاً جديداً.لأن حياتهما تكاملت من قبل في «زقاق المدق » وامتدت في نفوس القراء .. فعمل « يوسف » لا يزيد عن عمل القارىء الذي تتحرك الشخصية في نفسه ، وليس عمل القصاص ، ولم يكن«لنجيب محفوظ» كقصاص يفهم عمله ، ان يتدخل في مجال القارىء ، ليقول له : « ان عباس الحلو مات بسبب الحرب » او كما يقول « يوسف » : « لقد عاد «الحلو» من «التل الكبير » فوجد كل شيء معداً لمصرعه » .. ولم نكن في حاجة بعد ان قدم لنا « نجيب محفوظ » « زيطة » انساناً شاذاً قوي العضلات ، محروماً ، ان يجيء « يوسف » فيقول لنا مثلاً « .. وكان لزيطة احلامه البهيمية مثلما لي ولكم .. » .. فالذي قام به « يوسف » هو تفسير للظروف التي أحاطت بحياة هاتين الشخصيتين تفسيراً عاماً شاملا – لكن روعة هذا التفسير الإنساني الكبير لا تغير من طبيعته وهو أن التفسير لعمل موجود متكامل نقد لهذا العمل ..

ونحن اخيراً نستطيع ان نلخص خصائص « يوسف الشاروني» كقصاص متميز بطابعه .. فهو جاد اكثر مما ينبغي ، وهو متيقظ صارم اليقظة كثيراً. حتى انه يقطع طريق القصة ليقول ما يريد بطريقة مباشرة في احيان كثيرة .. وهو قصاص مثقف ، ناضج الثقافة ، تطفو ثقافته على سطح القصة بطريقة مقصودة ، بل وتتدسس في طياتها ، فتطبع اسلوبه بطابع خاص ، مرتبط بهذه الافكار العلمية ، التي لا يستطيع القارىء العادي ان يتذوقها بصورة كاملة ، وتوجه اسلوبه المتلبس بجفاف هذه الفكرية الذهنية خلال سرده لخيوط القصة .. فالرموز الدينية المتغلغلة في ارض القصة تسير مع امواج هذه الثقافة بما فيها من اصطلاحات علم النفس ، ونظريات الفلسفة وقوانين المنطق التجريدي الصارم ، الى جانب تهويمات ما وراء الطبيعة ، والرواسب الخرافية .

والقارىء مكره على ان يهبط معه من الفراغ السديمي ، الى اغوار الطبقات الجيولوجية ، المتراكمة على وجه متألم .. ثم يقفز من طواحين الهواء ، الى المطاحن البخارية ، او يسير خلال الزمن مع المسيح الذي اقبل الى العالم ليشفي الناس ، الى « زيطة » الذي يصنع العاهات، او يقف مع الحرية عند ما تكون ضرورة ، ليقابل الناس الذين قتلتهم روح الحرب التي ازدحم بها العصر ..

لكن مع كل ذلك .. فان « يوسف الشاروني » قد أسهم بطريقة فعالة في بناء الادب الجديد بهذه المجموعة .. والامر الذي لا شك فيه ان « يوسف الشاروني » يملك امكانيات ضخمة بانية ، يستطيع ان يتسلح بها في معركة التحرر الثقافي والفكري الجديد .. وهو – دون ريب – واجد نفسه في الصف الاول مع حملة المشاعل الذين يؤمنون بالانسان .

القاهرة **محمد فوزي العنتيل**

« من رابطة النهر الخالد »

# تنظيم النسل

## تأليف الدكتور وليد قمحاوي

دار العلم للملايين ، بيروت – ٢٤٤ ص

●

لكم وددت ، بعد ان طالعت كتاب «تنظيم النسل » الذي اخرجته«دار العلم للملايين » منذ اسابيع ان لا يكون مؤلفه الدكتور وليد القمحاوي صديقاً حميماً لي ، اذن لوسعني ان اكيل له آيات الثناء والمديح جزافاً،دون ان اخشى لومة لائم يعرفني ويعرفه ، ويعرف ما بيننا من الصداقة .

واراني غير قادر بادىء ذي بدء على ان اهضم صديقي المؤلف حقه كثيراً، حين اتناول لغة الكتاب واسلوبه ، فأقول انهما من الطراز الاول ولا ريب ، وليس هذا على الدكتور وليد القمحاوي بكثير ، فانا ادري انه اديب قبل ان يكون طبيباً . ومن يشك في ادب المؤلف الرفيع وتصويره البديع فليقرأ صور البؤس الانساني التي اوردها في فصله عن الوضع الفردي تجاه مشكلة النسل ، فهي بحد ذاتها اقاصيص وصور ادبية حلوة من واقع الناس المرير ، يمكن اعتبارها وحدها نتاجاً ادبياً قيماً لا شك فيه .

وفي الكتاب عديد من المعلومات والحقائق والاحصاءات الطريفة من جهة المفيدة من الجهة الاخرى. وانا اعترف بانني شخصياً لم اكن اعرف معظمها ولا اظنها الا جديدة على الكثيرين ممن تتاح لهم مطالعة الكتاب. وهو الى

ذلك حافل بحوافز الاثارة ، يبرز الى ذهن قارئه عشرات من المواضيع الجديرة بمزيد الاهتمام ، الخليقة بان يقف الفكر عندها طويلا ، دارساً وممحصاً ومناقشاً .

وموضوع الكتاب جديد في العربية على الاقل ، والا فهاتوا لي اسماً لكتاب عربي واحد تناول مشكلة تنظيم النسل فاحاط بها هذه الاحاطة الشاملة ، وعرضها هذا العرض الوافي المنيع .

والمؤلف في تناوله موضوعه وفي دراسته له مخلص كل الاخلاص او يحاول ان يجمع بين اشتات الاخلاص ان اردنا الدقة في التعبير . فهو مخلص لمهنته ، مخلص لمجتمعه المحلي ، مخلص لوطنه الاردني الصغير ووطنه العربي الكبير ، مخلص لانسانيته الواسعة ، وهو الى ذلك كله ، مخلص لهذا الأسلوب من التفكير الذي تفرضه علينا ظروف مجتمعنا ونظمنا السياسية . ولا ادري بعد ، ما اذا كان هذا الاخلاص الاخير لا يتعارض مع الوان الاخلاص التي سبقته ، رغم مساعي الدكتور وليد الى التوفيق بينها جميعا ما وجد الى التوفيق سبيلا . والناقد المخلص — ولو كان صديق المنقود — لا يجد بداً من ان يصرح بان هذا التعارض بين اخلاص واخلاص ، هو وحده الذي يجعل في الكتاب كثيراً من النقاط التي تتطلب المناقشة ، بل والنقص في كثير من الاحيان . ولعل كلماتي هذه تعتبر دعوة الى كتابنا وناقدينا ، بان يولوا موضوع تنظيم النسل حقه من عنايتهم واهتمامهم ، ويتأملوا ملياً في ما جاء في كتاب الدكتور وليد ويناقشوه مناقشة منصفة ، فيثبتوه ان كان من الحقائق ، او ينقضوه اذا ما كان من المزاعم ، ويصححوا اخطاءه ان كان ثمة اخطاء ، ويسلطوا النور على خيالاته واوهامه ان كان ثمة خيالات واوهام .

اما انا فقد لفت نظري من هذه الحقائق او المزاعم اشياء واشياء ، وهي جميعاً تستأهل الدرس والمناقشة ، فاما تثبت او تنقض . واراني غير قادر بطبيعة الحال على ان الم بها كاملة في مثل هذا النطاق الضيق ، غير ان هذا لا يمنعني من ان ادرج اهمها هنا ، فاطوف بها في لمحات خاطفة ، تاركاً لغيري التبادي في النقد والبحث والتمحيص .

هذه قبل كل شيء ، نظرية هامة لعلها هي لب الكتاب ، والاساس الراسخ الذي بنى المؤلف دراسته عليه . وهي قوله « ان البشرية افاقت من سكرتها في خضم تقدمها العلمي والصناعي ، فتملكها الذعر ، اذ وجدت ان ما لديها من غابات واراضي خضار وموارد طبيعية ، يتناقص يوما بعد يوم ، بينما افرادها يزدادون بتسارع مخيف ( ص ٢٤ ) . وان قانون تناقص العوائد ( القائل بان الاطراد بين زيادة الجهد وزيادة الناتج لا بد ان يزول عندما تصل الزيادتان الى حد معين ) يمنع البشرية من زيادة المنتوج ، اذا ما زادت جهودها بمضاعفة الايدي العاملة من افرادها ( ص ١٢٠ ) . وان هذا العجز في انتاج حاجات البشر المتزايدين عاما بعد عام هو عقدة مشاكل العالم ( ص ١٣٠ ) . وان تنظيم النسل هو قضية العالم التي تحل له مشاكله كلها ( ص ١٦٦ ) ، وان لا مناص له اذن من تنسيق الحمل ، وتنظيم الابوة ، وتحسين النسل ، وتنظيم الاجهاض ، وتدبير العقم ( ص ٢١٣ ) ، وان ذلك كله يجب ان يبدأ منذ الآن ، وفي سائر اقطار المعمورة ، دون الالتفات الى القوتين اللتين تقفان في وجه هذا التنظيم ، وهما الفاتيكان الكاثوليكي والكرملين الشيوعي والدول الخاضعة ( كذا ) لهما ، كايطاليا وفرنسا واسبانيا ودول اميركا اللاتينية وغيرها من جهة ، والاتحاد السوفييتي والصين ورومانيا وبولونيا وتشكسلوفاكيا والمجر وبلغاريا والبانيا والمانيا الشرقية وغيرها وغيرها من جهة اخرى . ذلك لان السلطتين المذكورتين ودولهما في واد ، والعالم كله ( كذا ) في واد ( ص ١٧٩ ) . » انتهت نظرية الدكتور .

اتوافق ايها القارىء على هذا الكلام ؟ ألا ترى معي انه يستحق المناقشة والدرس والتمحيص ، بله العناية والاهتمام ؟ الا تتساءل معي بعد اذ اطلعت عليها :

ألا يجب ان يساير رقي الانظمة السياسية والاجتماعية ، الرقي العلمي والصناعي مسايرة دقيقة ، فلا توضع العقبات والعراقيل في طريق الانتقال من مرحلة الى اخرى من مراحل التاريخ ، كي تنسجم زيادة موارد الطبيعة المستغلة مع زيادة البشر الطبيعية ، وان هذا الذعر الذي يحسه المؤلف من تناقص الموارد وتزايد البشر انما كان ناتجاً عن هذه العقبات والعراقيل التي وضعت في طريق التاريخ ، والآخذة الآن بسبيل الانهيار والزوال ، وان المؤلف لو نظر الى الموضوع نظرة المؤمن بغنى الطبيعة وقدرتها وطاقتها ، وبالانسان وعقله وابداعه وطاقته ، وبالتاريخ وحتمية تطوره ، اذن لخف هذا الذعر ، بل لتلاشى واختفى من فؤاد المؤلف ، ولوجه جهوده الكبيرة المشكورة من اجل سعادة البشرية ورفاهيتها وجهة اخرى ، ولدعا الى شيء اكثر ضرورة واشد استعجالاً من تنظيم النسل وتحديده ؟

ويكفي في هذا المجال ان ندين المؤلف من فمه فنضرب له مثلاً حياً اورده هو نفسه في كتابه ( ص ٢٩ ) اراد به شيئاً وغابت عنه اشياء . اذ قال ان الفرد في الدول المستعمرة او الرأسمالية ينال من الغذاء اكثر من ٢٨٧٥ سعر ( كالوري ) وهو المستوى الغذائي المطلوب ويتمتع بدخل محترم ومستوى معيشة عال . وهذه الفئة لا يزيد افرادها على ١٥ في المئة من البشر ، بينما تحتكر لنفسها ٧٥ في المئة من مجموع الثروة العالمية . ثم قال ان الاتحاد السوفياتي يمكن اعتباره من الفئة السابقة من حيث غذاء الفرد فيه ودخله ومستوى معيشته ، وان لم يعتبره المؤلف منها من حيث استغلالها غيرها على وجه العموم واحتكارها لنفسها اكثر مما تنتج من مجموع الثروة العالمية . فكيف استطاع اذن ان يوفر لسكانه مستوى غذائهم ومعيشتهم المحترم ، وهو ما زال — باعتراف المؤلف — يحرم تحديد النسل ، بل لعله يحض على تكثيره ، ويخص الجوائز — على ما نسمع — تشجيعاً للمكثرين ؟

وهل ينطبق قانون تناقص العوائد — بعد هذا — على

الطبيعة واستغلالها ومواردها في الوقت الحاضر والى ان تمضي مئات السنين ، ان لم نقل الوفها ؟ الم نسمع مثلاً بالامس القريب عن نهر من اكبر انهار العالم يحول مجراه هناك خلال فترة قصيرة من الزمن ، فيعود يروي مساحات شاسعة واسعة من صحارى الجليد الجرداء القفراء ، بل عن كثير من الانهار تحول مجاريها هنا وهناك وعشرات من السدود تقام ، ومئات من المستنقعات تجف ، ومناطق شاسعة من صحارى الرمال تحول الى غابات حقيقية في كثير من بقاع العالم ، خلافاً لما ظن المؤلف من ان اكثر اجزاء الكرة الارضية لا يفكر انسان معاصر في استغلالها ، كالصحارى والمحيطات ؟ افلا يحق لنا ان نعتقد بان الانسان ، لو تخلى عن استغلاله اخاه الانسان ، ووقف جهوده كلها على استغلال الطبيعة ، امه الخيرة السخية السمحة ، لاستطاع في وقت اقصر كثيراً مما يظن المؤلف ، ان يأتي بالأعاجيب ، ويصبح فعلاً من فراعنة الزمان ، الذين يستهزىء بهم المؤلف في فصل طويل عريض ( ص ١٠٢ وما بعدها )؟واذا صح تقديرنا ، ونبا سهم المؤلف — ولعله نفسه يتمنى ان ينبو سهمه — افلا يوافقنا على ضرورة اسقاط قانون تناقص العوائد من حسابنا الآن ، لان الحد الذي يقف فيه اطراد زيادة الجهد مع زيادة المنتوج بالنسبة لاستغلال الطبيعة ، لا يزال بعيداً ، وبعيداً جداً ، وان مهمة معالجته ، ان وجدت ثمة ضرورة لهذه المهمة في يوم من الايام، لا تقع على كواهلنا نحن ولا على كواهل اولادنا واحفادنا ، ولا احفاد احفاد احفادنا . وانما مهمتنا جميعاً اليوم ان نساعد التاريخ في تطوره ، فنكنس العقبات والعراقيل من طريقه ، ثم نسعى الى ان نستغل الطبيعة قدر طاقتنا ونترك لاحفادنا من بعدنا ان يواصلوا هذا المسعى بكل جد واخلاص . فقضية العالم اليوم وغداً وبعد غد ، ولعلها قضيته الى يوم يبعثون ، ليست هي تنظيم النسل التي يظن المؤلف انها كفيلة بحل مشاكله كلها ، وانما القضية هي الايمان الراسخ بالطبيعة وبالانسان ، وبالتاريخ ، والعمل من ثم جدياً على هدى هذا الايمان ، وبناء الانظمة الاجتماعية والسياسية التي تضمن استمرار هذا العمل ، خصوصاً في بلادنا العربية وغيرها من البلدان التي لا تزال رازحة تحت نير الاستعمار والاستغلال . والا كان مثلنا في دعوتنا الى تنظيم النسل وتحديده، مثل من يهيب بالمستعمرين والاسياد : الا نظموا نسل عبيدكم كما نظمتم نسلكم .. والا فعقموهم واجعلوهم خصياناً لا ينسلون ، قبل ان يفلت الزمام من ايديكم في الغد القريب ، ولكم في سلفكم السلطان عبد الحميد واسلافه اسوة حسنة ، وما عهد السلطان عبد الحميد وخصيانه عنكم ببعيد !

حبذا لو اكتفى الدكتور المؤلف بمعالجة قضيته على اساس فردي ، وهو بالفعل عالجها على هذا الاساس فأحسن المعالجة . ذلك لان المشكلة في نظري مشكلة فردية بحتة ضمن ظروف الفرد في البلاد الرأسمالية والتابعة ، والفرد هذا يحتاج حقاً في رأيي الى كاتب قدير هو في الوقت نفسه طبيب حاذق ومثقف واسع الاطلاع من مثل المؤلف الصديق ، يعالج له مشكلته الفردية هذه ، ويتوصل الى ايجاد حل لها انا في أواني — على حد تعبير المؤلف نفسه — لان مشكلته في الواقع انانية اوانية ، تبقى مشكلة في حد ذاتها حتى يتيسر له الخروج الى مرحلة ليست انانية من مراحل التاريخ ، وعندها تبطل المرحلة التالية الحاجة الاوانية الحالية، ولا ندري حينئذ هل تنقلب المشكلة جماعية غير فردية ، ام تتلاشى كلياً فتصبح غير مشكلة على الاطلاق ، وهذا في تقديرنا اغلب الاحتمالين .

لشد ما تمنيت لو توسع المؤلف في مقدمته، وفي تلكم الفصول من الكتاب ، التي خصصها لمعالجة المشكلة على اساس فردي . ويا ليته لم يعتذر عن هذا التوسع بعدم مناسبة المكان للدخول مثلاً في تفاصيل وسائل منع الحمل المتوفرة للبشر ( ص٢١٦) فالمكان في رأينا انسب مكان ، حتى ولو كان على حساب كثير من الفصول الاخرى، التي حفلت مع ذلك دون ريب بكثير من المعلومات القيمة والاحصاءات الطريفة والحقائق الهامة ، وحوافز الاثارة لفيض من المواضيع ، والصور الادبية الرائعة التي تنم عن ذوق المؤلف الرفيع واحساسه المرهف واسلوبه البديع ، كما اسلفت في مستهل هذا المقال .

وبعد، لكم وددت — كما ذكرت — لو لم يكن الدكتور وليد القمحاوي صديقاً صدوقاً وفياً لي ، اذن لكنت قد وفرت على نفسي كثيراً من الصراحة التي فرضتها علي صداقته ، ولاضطررت الى المجاملة في كثير من المواقف ، ولكنت في نقدي لكتابه اخف قسوة واقل مرارة . فاللهم اجعل كلامي خفيفاً على قلبه الكبير ، ولا تجعلني عنده من فراعنة هذا الزمان ، ولا من تنابلة السلطان ، ولا من الانانيين الأوانيين !

رام الله

**عصام حماد**

## اللحن الباكي

**للشاعرة جليلة رضا**

مكتبة الخانجي بالقاهرة — ١٧٢ ص

•

لم أقرأ شيئاً لشاعرة مصرية ، بل لم اكن على علمٍ بان في مصر شاعرة ، سوى ما قرأت من شعر مكتوب باللهجة المصرية الدارجة لزينب محمد حسين، يغلب عليه الطابع الغنائي. وفي الفترة الاخيرة، أتيح لي الاطلاع على بعض القصائد لشاعرة ( اللحن الباكي ) في مجلة العالم العربي القاهرية و « صوت البحرين » .. وكان الشعر الذي ضمته صحائف المجلة الاخيرة بيّن الجودة ، ولعله اجود شعرها ...

تحتوي مجموعة ( اللحن الباكي ) على ( ٦٣ ) قصيدة . تتراوح بين السمو والهبوط.. كما ان شعرها يترنح بين الواقعية التي تنضح بالسطحية والضحالة ، والرومانسية الصوفية المجنحة التي تستهويك بالسحر والجمالية Esthetics ، الا ان عنصر الألم يكاد يكون قاسماً مشتركاً لها جميعها .. ومن خلال سطورها يستشف القارىء الوانا من الخيبة المرة في الحياة ، وأفناناً من الغصص المريرة والهوان الذليل من الشعور بالانكسار وزحمة الشرود الهائم في اجواء الحيرة البائسة اليائسة وفورة الحنان لذكريات الماضي الخرافي ، والتلهي الشهيّ بهموم الليالي الكئار اللائي تنوح بها في مآتم غرامها المفجوع الصريع !

وكأمر حتمي ، ليس للاشراق البهيج في مناحي حياتها الخاصة ، او نظراتها لهذا الكون الخارجي الكبير صدىً في شعرها ، وهذه ظاهرة طبيعية مطابقة لانفعالات احاسيسها العاطفية المجروحة ، ومشاعرها الوجدانية التي شفّها الهوان الأليم ، وفي أمومتها المنغّصة ، وفي معاناتها لمأساة ولدها ، الذي هو الآن ينبوع شقائها الفوّار ، ومسيل جرحها النغار . انما تعكس — والحق معها من الوجهة السايكولوجية — واقع حقيقتها الكبيرة ، من غير تزييف للأحلام، وافتعال للحوادث وانتحال للأوهام الطوبائية والأخيلة الكاذبة والتهويمات الحلزونية الفارغة ...

وعلى هذا الاساس المتقدم ، يتميز اغلب شعر « اللحن الباكي » بالصدق الواقعي . ولا اريد هنا ان انفي من شعر الشاعرة قلة صدقه الفني في بعض قصائدها . وكان نتيجة للصدق الواقعي ، ان باحت الشاعرة بألمها وحبها وخيبتها وفجيعتها ببساطة ووضوح .. ولكن .. بهوان .. وصغار ، ولا كبريائية .. وبالفعل تلمح بجلاء ، كيف تصور لك عازفة اللحن الباكي هاهة النفس المتسامية Subliminal Self امام سطوة الوجد الجارف في محراب الاشواق حين يطبعها بطابع الكآبة الحائبة المهزومة ..

وشعر الالم في المجموعة يُدرك بسهولة حينما نتقصّى انفاس الشاعرة في أبياتها ، خلل اللهثات الحرار التي تمجها سطورها اللاهبات.. انها لتشبه في نظري — ولا اقصد المفاضلة أو المقارنة — في بعض إشعاعاتها الوجدانية والتوجعية الشاعرة المبدعة الآنسة فدوى طوقان.. فلكل منهما مأساة.. ولكل منهما حديث شجي عنها ... وفيما بينهما تجاوب في النغم والألم والتخيل .. في المعبد الانثوي .

وفي قصائدها ( التمثال الخالد ) و ( الكون الكبير ) و ( صلاة ) و ( ايها الشعر ) و ( موعد في الظلام ) تحس ان هناك... شعراً حياً ، يتخطف مشاعرك ، ويجرعك البلوى الى جنب شحنات الايماءات العلوية والجرس اللذيذ بالايقاع الرنمي ، والتخيلات الصوفية واللاهوتية ... وشاعرتنا .. عاشقة ملتاعة ، أضرّ بها الهوى ، لا شك في ذلك . انها


صدر حديثاً

في سلسلة كنوز القصص الانساني العالمي

أرض الله الصغيرة

لأرسكين كالدويل

وهي أروع ما خطته يراعة مؤلف « طريق التبغ » و « ارض المآسي » ، والرواية التي اثارت الرأي العام الأدبي في اميركا ، وشغلت محاكمها فترة من الزمن، والتي يعدّها النقاد أسرع الروايات العالمية بيعاً، إذ بلغ ما طبع من نسخها ستة ملايين نسخة ، وترجمت الى ثلاث عشرة لغة من لغات العالم الحية حتى الآن .

نقلها الى العربية الاستاذ

منير البعلبكي

الثمن ثلاث ليرات — دار العلم للملايين

تتحدث لك عن جواها على لسانها ، بجراة وطلاقة ، فهل بعد هناك مجال للبحث عن التلميح المريح في معرض التصريح الفصيح ؟!.

اسقيتني فيها رحيق المنى ... وخلتها لن تنطوي او تفوت
فلم؟ وكيف؟ لم امت.. ها انا ... أكاد من تذكارها ان اموت!!

والضمائر الثلاثة التي لحقت اواخر الكلمات (فيها) و ( خلتها) و(تذكارها) انما تشير الى شواظ قبلة فتاها المحرقة .. وتتساءل بعجب عن سر بقائها رهن الحياة ، بعد انسكاب رواء شفتي حبيبها على شفتيها .. وهي على وشك ان تموت .. مجرد تذكر القبلة العابرة !!

وكذلك في قصيدتها ( النسيان ) و ( حيرة ) اللتين تفصحان عن هوى شاعري عنيف وغرام عاطفي ينضح بالمذلة، ويتصادى بالخيبة والكفران..

ومن المؤسف ، ان شعر ( اللحن الباكي ) يزخر بالزحاف الكثير .. فمن قصيدتها ( طموح ) هذا البيت :

ابداً لم تلن قناتك يوما ... أبداً لم تذبل شموع الرجاء

فاللام في ( تذبل ) زائدة..ولو حذفت لما تأثر المعنى وسياق الوزن..

ومن قصيدتها ( ايها الشعر ) قالت :

ايه يا شعر ما الذي بك اغراني – حتى اذبت فيك شعوري ؟
اهو المجد ؟ آه ما هو الا ... محض حلم ، مزيف، مغرور
أهو الخلد ؟ أي خلد وقبري ... مشرئب هنـاك بين القبور
اهي الذكرى؟ اي روح ستصغي ... لصداها في كونها المسحور ؟

فعلى الرغم من ان في معاني الأبيات المتقدمة تطابقاً واضحا لمعاني الاستاذ عمر ابو ريشة في قصيدته ( لمن ؟ ) .. فان في البيت الأخير زيادة الالف المقصورة في كلمة ( الذكرى ) .. كما ان في قصيدتها (بين روح وطيف) زحافا في كل من البيتين التاليين :

لم تعد طفلا ، لا ولست فتيا ... فتخل عن ساعدي ولقائي
جذبة ضمت جناحي.. جنحا ... فتراخت قيود ذاك البقاء

وبعد ، فان الشاعرة في قصيدتها الرائعة ( موعد في الظلام ) ضربت رقما قياسيا في الزحاف .. وها هي ذي ابياتها الزواحف التي تجمعت على صدر قصيدة واحدة بالجملة :

ساكبا خمر الموت في شفتيها ... ورحيق الدجى وذوب القبور
وتحل الدنيا جدائلها باكية تنعى الغائب . الوقادا !..
وتغيب النجوم في صدره ، لا قمراً تخشى او تراعي الوددا
وتحس القبور ان قبوراً ... مثلها .. ضمّت سائر الاحياء !!
وتحط سحائب فتعرت ... انجم يقظى في السماء البعيد
ثم ولت تحث سير خطاها ... غادة نشوى بالهوى والوعود!!
تلتقي عيناها بظلمة عيني ... فارى فيها معاني الخلود

كما ان في قصيدتها ( فوق تلال الطلاسم ) زحافا آخر :

ما الذي خلف هذه الوحدة النكراء يغري بناعمات القلوب
فالى من تحدقين بجوف الليل ، كالاعمى ، عند لذع اللهيب !

ولست ادري كيف فاتت الاستاذ احمد رامي هذه الهفوات اللاتي تنفر منها الآذان اللاشاعرية .. حين طالع ( اللحن الباكي ) وكتب مقدمته واستشهد بقصائد وابيات منه !!!

أما النغم النشاز المضحك الذي سمته من معازف ( اللحن الباكي ) .. فهو في هذه البهدلة الهزلية الكبرى في ( مولد قصيدة ) .. أو بالحري، في عيد ميلاد اللبن والحليب والبطاطس !!

لبن . حليب . يا لبن !!!
والفوطة المجنونة الحمراء يا شارى بلاش !!
وثلاث ارطال « بقرش » يا بلاش !!

الأنها قالت له: خمسة بقرش . . يا رجل !!! الى آخر الحكاية والدردشة !

واذا كان لي الحق في ان اضيف شيئاً الى كل هذا أقول :

ان الشاعرة فشلت فشلا مريعا في طريقة نثرها المشعر! من نديف شعرها المنثور !! وهناك تعابير نثرية خالصة ليس فيها نفحات شعرية ما :

لا انا ابدي اهتماما ، أو بما تحويه ادري
رائحات غاديات تافهـات عـاديه !!؟

وفي البيت الآتي : يحس القارىء استتباع ثقل ( اما ) و( اذا )و(يا) مرة واحدة في بيت واحد :

اما اذا يا . . ساعتي اقبلت ... لحظة عمري والهناء الفريد

وفي قصيدتها ( حق البقاء ) هذا النثر المختار :

( يقرأ الساهر طرفا من رواية و ( وهو لايدرك ان النوم غاية)

وفي قصيدتها ( الزيارة الرهيبة ) .. وقرأت ثمة آية الكرسي مرات عديدة !! وتعمد الشاعرة في كثير من صورها الى ترادف المعنى في اللفظ كما في قولها :

اني حبيتك حبا خائفا وجلا .. وفي قولها :

وكأس من الاوهام بين شفاهه ... تخالط حلو الطعم بالصاب والمر

وفي قولها :

وما كل من يصبو لأمر بمدرك ... فتلك هي الاقدار ، هذا قضا الدهر!!

اشارة واضحة الى معنى سبقها . . لشاعر سواها :

ما كل ما يتمنى المرء يدركه ... تجري الرياح بما لا تشتهي السفن!!

وفي المجموعة بضعة اغلاط لغوية اشير الى بعضها على سبيل المثال لا الحصر . .

ورد في قصيدتها « الزيارة الرهيبة » عشر اعوام .. وصوابها . . عشرة اعوام. وقولها في قصيدتها (نهاية صيف) . . « نغمي ترددده النسائم » صوابه: نغمي ترددده النواسم أو النياسم .. وقولها ثلاث ارطال . . صوابه : ثلاثة ارطال . . كما انها ذكرت كلمة ( السماء ) المؤنثة في قولها (السماء البعيد ) .

واود ان اسجل ان هناك فكرة واحدة . . وخيالاً متساوقا ، وتعبيرا متشابها في قصيدتها ( مأساة دوحة ) . . بينها وبين الشاعر العراقي الاستاذ هلال ناجي في قصيدته ( غروب ) المنشورة في مجموعته الشعرية ( صلاة المغيب ) الصادرة في عام ١٩٥٠

واخيراً ، فان الملاحظات الأخيرة التي أبديتها بصراحة والتي قد تغضب الشاعرة – وهذا مالا ارجوه – لا تقلل في نظري من شاعريتها الأصيلة التي فاضت احاسيسها وأخيلتها صدقاً معبراً عن مكامن النفس المرهفة الشعور ، الجياشة العواطف .. دونما زيف أو افتعال .. بل هي في رأيي خير من اولئك الذين يسودون بياض الصحف بتعويذاتهم التي يجترونها الف .. الف مرة .. ولا يخجلون من ظلال سورة الدجل والشعوذة والبهلوانية ..

ولها مني خالص الشكر على هديتها الرقيقة .

بغداد

**علي الحلي**